



هذه رسائل إلى من افتن بفكر داعش والقاعدة من أبنائنا أتمنى منهم قراءتها وإعمال عقولهم وقلوبهم فسينفع الله بها من ألقى السمع وهو شهيد، وبالطبع هي لا تناقض كل هذا الفكر بمنطلقاته وشبهاه وتطبيقاته، فذلك متذر جمعه في مقال، لكنها في تقديري تساهم في التأسيس لطريقة مثلثي في توجيه التفكير، منطلقة من فقه النصوص المحكمات لا ضرب المتشابه بالمحكم، أو تنزيل المجمل منزلة المبين.

فأولاً: أعلم أن لك يابني نفساً واحدة هي نفس ما تملكه وأوجب ما أمرك الله تعالى **برعايته** فلا تهلكها فإن الأصل في شريعة الإسلام إحياء النفوس لا إهلاكها، ولذلك عظم الله أجر من أحيا نفساً، فجعل له أجر من أحيا الناس جميعاً، وعظم وزر من أهلك نفساً فجعله كوزر من أهلك الناس جميعاً، ولا يخفى عليك قوله تعالى: **(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أُوْفِيَ الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَتُهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدِ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** قال مجاهد: من قتل نفساً محمرة يصلى النار بقتلها، كما يصلها لو قتل الناس جميعاً " ومن أحياها": من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعاً. قال سليمان بن علي قلت للحسن: يا أبا سعيد: هي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟ قال: إيه والذى لا إله غيره ما كانت دماء بنى إسرائيل أكرم على الله من دمائنا. لذلك يا بنى لا تفوت نفسك ولا نفوس الآخرين إلا في يقين مثل عين الشمس في وضوحه، فإذا دعيت لأمر تهلك فيه نفسك أو نفس غيرك أقل من عين الشمس في وضوحه فلا تفعل، فإنه لن تعود إلى الحياة كي تراجع نفسك، ولن يعود المقتول إلى الحياة كي تصحح خطأك. فإذا دعيت إلى أمر أهل العلم على خلافه أو اختلف فيه العلماء أو يخالف مقاصد الشرع فاعلم أن أقل أحواله أنه من المشتبهات، فكيف تهلك نفسك في أمر مشتبه؟! واعلم أن نبيك وحبيبك صلى الله عليه وسلم، نهى عن الوقوع في المشتبهات في الطهارات والبيوع ونحوها فكيف تقع فيها فيما فيه إتلاف نفسك ونفوس الآخرين ثم لا رجعة لك فيه، تأمل الحديث: **(الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ الدين وعرضه، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام)**، فمن أقدم على إتلاف نفس من تلقاء نفسه وليس معه عليها سوى

شبهة أمليت عليه، أو نص توهّم أنه دليل على ما أقدم عليه، أو قول عالم فمه على غير وجهه أو تبع ذلك العالم في زلته وترك قطعي النصوص لأجله فقد وقع في الحرام كما قال صلى الله عليه وسلم.

ثم تذكر أمر نبيك صلى الله عليه وسلم، بدرء حدود الزنى والسرقة والقذف والحرابة بالشبهات قدر المستطاع فقال ([ادرؤوا الحدود بالشبهات](#)) و([ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم](#)) وقد عمل أهل العلم بهذا الحديث بمجموع روایاته وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يؤيد معناه من أقوال وأفعال وما روى من آثار في ذلك عن السلف، حتى نقل ابن المنذر وغيره إجماع العلماء على درء الحدود بالشبهات.

إذا كان الحد يدرؤ في الجرائم التي لا تخرج الدين ولا يترتب عليها كفر صيانة من الشارع الحكيم للنفس فكيف بحد الردة عن الدين الذي دخل فيه العبد بيقين فلا يخرج إلا بيقين، فكيف والردة التي ترمون بها عباد الله وتقتلونهم بها إنما هي شبهة وقعت في نفسكم، فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرأ الحد الثابت بالشبهة، وأنتم ثبتون حد الردة بالشبهة، ألا ترون بعد ما بينكم وبين نبيكم؟!

ثم اعلم يابني أنك إن تصورت أن كل عالم لم يخرج على السلطان كان مرتدًا، فما تقول بأئمة الأمة من عام 100هـ حتىاليوم لا يعرف منهم إمام من أئمة الإسلام خرج على السلطان بجميع ممالك الإسلام، منذ موقعة دير الجمامج سنة 82 حتى يومنا هذا، فهل أئمة الإسلام من ذلك الوقت حتى يومنا هذا مرتدون؟ أم أن ممالك الإسلام من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وخلال 13 قرنا لم ترتكب ما ترتكب ناقضاً من نواقض الإسلام؟! كلا الأمرين غلط، فحاشاً أئمة الإسلام أن يكونوا مجمعين على الكفر ومن قال ذلك لزمه تكفير الأمة التي كانت تبعاً لعلمائها كل تلك القرون، ولا يقول هذا إلا مغور نسأل الله السلامه.

أما دول الإسلام عبر التاريخ فلو قلبنا تاريخ كثير منها لوجدنا حوادث منقول وقوعها في كل أطوارها أو بعضها بما يحسب نظرياً من نواقض الإسلام ومع ذلك لم يخرج الأئمة عليها ولم يكفروا أكثرها، والسبب في ذلك أن تقرير أي قاعدة فقهية لا يعني صحة تطبيقها على الأعيان، فقولنا: السارق تقطع يده، والزاني يرجم، لا يعني أن نقطع أو نرجم كل من ظننا أنه سرق أو زنى، بل لا نفعل ذلك حتى لو رأينا فعل ذلك، حتى تستكمل شروط القطع وشروط الرجم وتنتفي موانعهما، والأمر في الردة مثله بل أولى منه في الحكم. فمن أين أتى منظركم بأن كل من ارتكب ناقضاً صار لفوره كافراً مرتدًا خارجاً من ملة الإسلام مباح الدم والمال، هذا ما لم يقل به أحد!!

بل حتى لو قال به أحد من العلماء أو حملتم كلام العلماء عليه فهو مردود لمخالفته فعل نبينا صلى الله عليه وسلم و فعل صحابته الكرام، فرسول الله لم يقتل من قال تعالى فيهم: ([لا تعذروا قد كفرتم بعد إيمانكم](#)) ولم يقتل من قال له: "اعدل يا محمد فإنك لم تعدل"، ولم يقتل من عصاه صلى الله عليه وسلم ورجع عن القتال يوم أحد، حيث خرج رسول الله بألف من المدينة للقاء المشركين، وانحاز عنده عبد الله بن أبي بما يقرب من 300 رجل، أليس هذا ناقضاً من نواقض الإسلام؟ فلماذا لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن قويت شوكته وعظمت دولته؟ فيا بني تأمل معى: إن كنت تفكّر في قتل أناس لأنهم بزعمك تركوا نصرة إخوانهم فالمنافقون انحازوا عن جيش الرسول صلى الله عليه وسلم في أحلك المواقف وقدر عليهم بعدها ولم يقتل واحداً منهم.

وإن كنت تفكّر في قتل أناس لأنهم بزعمك ناصروا الكفار، فالمنافقون ناصروا الكفار بشهادة القرآن عليهم ولم يقتلهم صلى الله عليه وسلم رغم قدرته عليهم، قال تعالى: ([ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتם لننصرنكم](#))، فأيّ يقين بنصرة هؤلاء لأهل الكتاب أعظم من اليقين

الحاصل بشهادة القرآن عليهم! إن كنت حقاً تتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أقل من أن يقع في قلبك من ترك النبي قتل كل هؤلاء أنه ليس كل من ارتكب ناقضاً يعد مرتدًا وليس كل مرتد يقتل.

والدماء لا تراق إلا بأعظم يقين وأنى لك به في قتل موحد مصل صائم وما صان النبي سيفه عن دماء المنافقين إلا لحكم عظيمة، منها تعليمنا عظم حرمة دماء من أظهروا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلم يأخذهم النبي صلى الله عليه وسلم بعلمه الذي علمه الله إياهم فيهم، بل عاملهم بما معه من أحكام الشريعة، شريعة العدل والرحمة، ومن هذه الأمور وأمثالها أخذ العلماء أن القاضي لا يقضي بعلمه، بل بما يتوفّر له من البينات.

واعلم رحمني الله وإياك وهدانا أن أحكام التكfir والردة ليست من مهامات الدين ولا من العلوم الضرورية للمسلم، بل من دقائق الفقه وعلوم خاصة العلماء، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يبين كيف يدخل الناس الإسلام وما يجب عليهم إذا دخلوا فيه ويعظم في نفوسهم شهادة التوحيد وحقوقها وفضلها بأقوال مكملة وبيان مفصل، لذلك جاءت نصوص الوحيين في التوحيد وعظم شأنه والقائمين به وحرمة أهله بيته لا تلتبس لأن الله أراد قيام حجته بها على الناس كافة.

أما التكفر فلم يكن يبينه النبي صلى الله عليه وسلم لمن أسلم أو يخاطب العموم به، لذا جاءت نصوصه مجملة أو متشابهات، فالخطاب فيه هو للحكام وأهل الفقه والقضاء، استعرض لأجل التحقق من ذلك آيات الأمر بالإسلام كقوله تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنُّ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلُّوْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكُفِّرُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

وانظر إلى وضوحاً وبيانها فيما تتحقق له صفة الإسلام، لكنك لو سيرت آيات القرآن لن تجد هذا الوضوح في أحكام من يخرج من الدين ولكل مثال بقوله تعالى: (وَمِنْ يَتَولَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ) فهي مجملة في درجة التولي ومجملة في معنى منهم، وأهل العلم كلام في معناهما وتنزيل الأحكام بهما على الأعيان. وكذلك لو سيرت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجدت دعوته للإسلام وتعظيم شهادة التوحيد في أقواله وأفعاله ثم في أقوال أصحابه وأفعالهم كل ذلك في غاية الوضوح والكثرة، ووُجِدَت حكمة بتکفير من ثبت إسلامه في منتهى القلة.

فارفقبني بنفسك وبأمتك، ولا تحملها ما لا طاقة لها به، وتذكر دعاء المؤمنين: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْنَاهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ).

موقع الكاتب على الانترنت

المصادر: